

الأخلاقيات الطبية في عصر الحضارة العربية الإسلامية

د. رضي جواد باقر محمد البياتي
طبيب اختصاصي
باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي

مقدمة

إن كان الله قد أكرم الإنسان بالعقل فإن إكرام العقل يكون بحسن استعماله، وخير ما يستخدم بهما العقل هما الإيمان بالله والعلم، والإيمان يعزز بالأخلاق وكذلك يسان العلم بالأخلاق. والطب علم يتصل تطبيقه بالإنسان مباشرة بحياته ومماته، عافيته ومرضه ومجمل هذه الممارسات لا يمكن أن تصان إلا بالأخلاق، وأن كانت النظرة للطبيب ولا تزال مكلفة بالكمال فإن من كمال الإنسان أن يكون متصفاً بالأخلاق، وأن صعب على الإنسان الكمال وتعذر الوصول إليه، فإن السير في طريقه يقربه من الكمال.

تعريف الأخلاق

عرف الفلاسفة العرب والمسلمون الخلق من خلال دراساتهم لعلم الأخلاق، ومنهم الإمام أبو حامد محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) فقد عرف الخلق^١ : الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخه عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الفكر ورويه، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة، المحموده عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي المصدر خلقاً سيئاً .

كما عرف الفيلسوف العربي "محي الدين بن العربي" خلق الإنسان بأنه^٢ :- « حالة للنفس بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا لإختبار، والخلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والإجتهد ومجاهدة النفس وتقويتها» .

أما سلوك الإنسان فيطلق على أعمال الإنسان الظاهرة وإن كانت مغايرة لما تنطوي عليه سريره، ويمكن تعريف السلوك^٣ :- « الأعمال الإرادية للإنسان الموجهة نحو غاية معينة مقصودة » . وهو هنا عمل الإنسان وليس ما يقوله ويختلف سلوك الإنسان حسب ظرفه أو حاله من علم وجهل - صحة ومرض - فقر وغنى وعليه فالأعمال التي تسمى سلوكاً يجب أن تتركز على قاعدة من الفضائل العامة للأخلاق، ومع نظرة شمولية إنسانية لكل الآخرين .

والطب كمهنة ذات أبعاد ثقافية و علمية وخبرة وفلسفة عميقة ينبغي فيها معرفة حقيقة الإنسان بروحه وجسمه بصحته ومرضه وما يحدث فيه من تغيرات، وما هو طبيعي من هذه التغيرات وما هو غير طبيعي، فإن أغلب ما يقدمه الطبيب للمريض هو رأيه وهو نصيحته التي تتركز على عقله وحكمته . وهذه الحكمة ناتجة مما تعلمه من أساتذته وقراه في كتبه وأضاف عليها إبداعه وأخلاقه .

^١ الأخلاق عند الغزالي د. زكي مبارك ص ١١٤ مطبعة دار الكتاب العربي

^٢ تأملات في فلسفة الأخلاق منصور علي رجب ص ٩١ الطبعة الثالثة ١٩٦١

^٣ المصدر السابق

وكان الأطباء قديماً هم الفلاسفة و الحكماء أيضاً . ومن أقدم العصور ولحد اليوم فإن الطب يعتبر مهنة سامية وعمل شريف لما له من مساس بحياة الناس وأرواحهم وشرفهم .
أن الأخلاق هي ركن اساسي في فلسفة الطب وكذلك في تطبيقه , وعليه فان هؤلاء الفلاسفة والاطباء لم يتركوا الاخلاق الطبيه دون الدراسة والبحث .

الاخلاق في عصر الحضاره العربيه الاسلاميه :-

مصدر الأخلاق في الإسلام هو من كلام الله سبحانه و تعالى في كتابه الحكيم ؛ والذي يأمر بمكارم الأخلاق و محامد الخلال والنهي عن المنكر والرذائل والشرب والبغى والكذب, فقد ورد في القرآن الكريم العديد من الايات التي تامر او تحض او ترغب على الالتزام بالاخلاق الفاضله وقد تكون هذه الايه نموذج رانعا :
« إن الله يأمر بالعدل والإحسان »^١ .

وسنة الرسول (ص) وأحاديثه الشريفة هي المصدر الثاني ، فما كان يصدر عنه من نطق وعمل ووصية وإرشاد وهو الذي لا يتكلم عن هوى, هي شرح لتعاليم القرآن ومتممه لها وفيها تطبيق عملي لتعاليم الإسلام . وحين نرى ان الله سبحانه وتعالى يصفه بانه على خلق عظيم فهو دليل على امرين اولهما يدل على ما للاخلاق من اهمية في تقييمه سبحانه وتعالى وثانيهما يبين ان الرسول الكريم يحمل من الاخلاق ما لا يحمله غيره و كيف لا وهو الذي يقول ادبني ربي فاحسن تأديبي^٢ فما أعظم المؤدب وما اكرم المؤدب وقد اتخذ المسلمون النبي (ص) قدوة لهم ومرجعاً لهم في كل صغيرة وكبيرة وقد عبر الرسول (ص) في قوله انما بعثت لاتمم مكارم الأخلاق^٣ عن أن المسألة الأخلاقية بمفهومها الفلسفي هي الاساس في الدين الاسلامي , ولم يأل جهداً ال بيت النبوة وأصحاب النبي عليهم السلام في تثبيت هذا الخلق في حياتهم ليكونوا المثل الأعلى في الالتزام بما جاء به القرآن وسنة الرسول (ص) . ولا يسع لمثل هذا الموضوع المجلدات الضخام .

. اعتمد فلاسفة المسلمون على القرآن وعلى ما ورد عن النبي(ص) من قول وفعل كاساسيات لهم في فلسفة الاخلاق وخصوصا بعد اطلاعهم على الفلسفة اليونانية و التي تفاعلوا معها كثيراً^٤ . وانتهج فلاسفة المسلمون منهجا توفيقيا في اكثر الاحيان بينها وبين قيم الاسلام الاخلاقيه والتي اعطت الاراء الفلسفيه قيمة واقعيه من خلال اعتبار المبادئ والافعال خاضعة للحساب في الاخره (كل نفس بما كسبت رهينة)^٥ وعليه صار الالتزام بها مما يثاب الانسان عليه أي ان عمل الخير مرتبط بعمل الأخره التي هي أساس كل عمل يقوم به المسلم وعليه فإن مكارم الأخلاق هي من صميم عمل و سلوك المسلم ولا بد منها والعبادات وحدها لا تكفي. وان كانت الصفات الاخلاقيه تقسم الى خير وشر وجمال وقبح فقد اكد الاسلام عليها ايضا.

ومن فلسفة الاخلاق الاسلاميه نمت وازدهرت فلسفة الاخلاق الطبيه في الاسلام وليس مبالغا فيه ان الاخلاق الطبيه قد وصلت ذروتها في الاسلام.

وسلوك الطبيب المسلم في مهنته تابع لأخلاقيات الإسلام وهي من الفرائض وعليه العمل بها في معالجته للمريض وفي شتى السبل والأوقات ولا فرق بين غني وقوي وفقير وضعيف .

١. القرآن الكريم سورة النحل (١٦: ٩٠)

٢ راجع المعجم الفهرس لألفاظ الحديث النبوي فينسك ومختار الأحاديث النبوية السيد احمد الهاشمي و خلق

المسلم محمد الغزالي الطبعة السادسة ١٩٦٢

٣ المصدر السابق

٤ موسى محمد يوسف تاريخ الأخلاق ص ١٧٢ دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٩٥٣ مصر

٥ القرآن الكريم سورة المدثر ٧٤: ٣٨

ويعتمد الطبيب المسلم على هذه الأخلاقيات في تعامله مع المريض في عمله اليومي وكذلك على كل ما يستجد في مجال الطب من مستجدات^١، فقد اعتمدت الاخلاقيات الطبيه الاسلاميه على مبدأ وضع الطب وسيلة لخدمة الانسان يبغى من خلالها رضا الله سبحانه وتعالى. ومما لا شك فيه فان للطبيب في سيرة الرسول (ص) إسوة حسنة وهي مثال للمخلق الرفيع والتي اذهلت الناس من يومها ولحد الآن والى يوم الأخره وهو القائل :- « خياركم أحسنكم أخلاقاً »^٢.

فلاسفة الإسلام والاخلاق .

كما مر ذكره فان الفلاسفة المسلمون تأثروا كثيراً بما اطلعوا عليه من اراء للفلاسفة الاغريق فيما يخص الاخلاق و الاخلاقيات الطبيه وعليه فلا بد من استعراض سريع للفلاسفة الاغريق ولارائهم بهذا الخصوص ؛ ولعل فيثاغورس^٣ هو من الأوائل الذين تبناوا الأخلاق الحميدة والفضيلة مسلكاً لإنتصار الروح على الجسد إنتصاراً للخير .

وهذا عكس ما ظهر بعد ذلك من فلسفة سوفسطائيه دعوا أصحابها للمراوغة والإحتيال الى إنتصار المنفعة الفردية على غيرها من القيم .

إلا أن سقراط (٤٧٠ - ٤٠٠ ق.م)^٤ يمكن اعتباره أول من ثبت الفلسفة على أساس متين وشاد عليها الفلسفة الأخلاقية . وهو من قال :-

« إن المرء لا يكون فاضلاً إلا إذا أتى الفضيلة على علم » .

وعليه فإن سقراط يعد مؤسس علم الأخلاق أما تلميذه أفلاطون (٤٢٧ ق.م)^٥ فقد دعا كأستاذه الى العفة والشجاعة وجعل الحكمة أم الفضائل . ويرى أفلاطون أن الفضيلة العليا هي فضيلة العدالة . وحمل الرسالة بعده أرسطو (٣٨٥ ق.م)^٦ وهو المعلم الأول ويرى أرسطو أن السعادة الحقيقية التي هي مبعث مبعث اللذة عند الإنسان هي بالتوصل الى خيرات النفس وذلك بالتأمل والتفكير، باسمى جزء فينا الا وهو العقل، والتأمل في الله يجعل الإنسان قريب من ربه .

وبعد أن بدأت تنبثق للعالم الحضارة العربية الإسلامية ، كان للفلاسفة المسلمين دوراً آخر رائعاً في الأخلاقيات ومنهم الكندي (٥٢٤٦)^٧ وهو من سميّ بفيلسوف العرب . والذي كتب في الأخلاقيات متأثراً بالفلسفة الاغريقية وجمع بينها وبين الفكر الإسلامي .

والفارابي(٣٣٩ هـ)^٨ :- وهو المعلم الثاني وقد تعلم في بغداد وعاش فيها وفي دمشق حيث توفي ودفن وله آراء في الأخلاق وفي الحكمة وقد حدد شروطاً لمن يريد أن يعمل بالحكمة (والطب هو من الحكمة): ينبغي لمن أراد الشروع في الحكمة أن يكون شاباً صحيح المزاج ، قد تعلم القرآن واللغة وعلوم الشرع ويكون غير محل بأدب من آداب السنة والشريعة ولا يتخذ علمه آلة لكسب الاموال ومن كان بخلاف ذلك فهو حكيم زور .

^١ محمد د.حمود الحاج قاسم السلوك الطبي الإسلامي ص ٨٩ منشورات الجمعية الطبية الإسلامية موصل العراق ٢٠٠٤

^٢ صحيح مسلم الجزء الرابع كتاب الفضائل صفحة ١٨١٠ دار إحياء التراث العربي ١٩٥٤

^٣ موسى محمد يوسف تاريخ الأخلاق ص ٤٧ دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة ١٩٥٣

^٤ نفس المصدر السابق ص ٧٩

^٥ نفس المصدر السابق ص ٥٨

^٦ نفس المصدر السابق ص ١٧

^٧ البهي محمد الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ص ٢٩٣ الطبعة الثالثة ١٩٦٢

^٨ محفوظ د. حسين علي الفارابي في المراجع العربية ص ٢٦١ دار الحرية للطباعة ١٩٧٥

ابن سينا (ت ٥٤٥٢ هـ)^١ - وهو الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا وكان طبيباً فيلسوفاً وشاعراً ورياضياً وفلكياً ، وقد إهتم بدراسة الأخلاق للفرد والجماعة .
 وله كتب ومنها (رسالة في الأخلاق) و (رسالة في العهد) وهو يدعو الإنسان إلى أن يسوس نفسه قبل أن يسوس الآخرين وسياسة النفس تكون بالالتزام بالأخلاق والمثل الفاضلة . يرى ابن سينا - كما رأى من قبله فلاسفة الغريق - إن الفضائل والرذائل كثيرة ، ولكن يمكن جمعها وتصنيفها بحسب القوة النفسانية الثلاث : الشهوانية و الغضبية والناطقة وعندما تتفاعل مع بعضها وتتوازن بصورة صحيحة تنتج عنها الفضيلة العليا وهي (فضيلة العدالة) .
 و الفضيلة هي الوسط بين رذيلتين إن نقصت عن حد معين تكون رذيلة وإن زادت عن حد معين فهي رذيلة مثلاً .
 « التبذير - الكرم - البخل » .

و من الفضائل :-

❖ الحكمة :- وهي فضيلة العلم ، وهو إدراك الأشياء التي من شأن العقل الإنساني أن يدركها ليلحقه منها خطأ ولا زلل .

❖ الصدق :- أن يوافق المرء منطوق لسانه ومكنون ضميره .

❖ الرحمة :- الشعور بالمواساة والرفقة عندما يحل مكروه أو ألم بأناس آخرين .

❖ العفة :- ضبط النفس عن الشهوات وقسرها للاكتفاء بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحته .

❖ كتمان السر :- مركب من الأمان والوقار فإن إخراج السر من فضول الكلام وليس يوقر من تكلم بالفضول ومن استودع سرراً فأفشاه الى غير صاحبه يفقد الأمانة .

وغيرها من صفات الفضيلة (الصبر و العدل والأمانة والحلم والوقار ، الحياء - الوفاء - الفطنة - البيان - أصالة الرأي - عظم الهمة - الود - سلامة النية) وغيرها كثير .

الرذائل :-

وإذا كنت الفضيلة المركب إليها صعب فإن الرذيلة مركبها وطئ ، وهي أكثر من الفضائل ، ومنها ؛

❖ الشه :- الحرص على إكتساب الأموال والمواد وجمعها .

وغيرها : (الوقاحة - التبذل - إفشاء السر - الخيانة - الكذب -) وغيرها كثيرات .

وأبن مسكويه(٥٤٢٨هـ)^٢ :- وهو المعلم الرابع أحمد بن محمد بن يعقوب وأحد الفلاسفة المسلمين ممن إهتموا بالأخلاق وله كتاب قيم (تهذيب الخلاق وتطهير الأعراق) .
 ويرى ابن مسكويه أن الأخلاق هي الأساس في بناء المجتمع .

وإبن باجه الأندلسي و ابن طفيل^٣ :- وهم من الفلاسفة الذين إهتموا بالأخلاق وربطوا العقل بالأخلاق .

والإمام الغزالي (٥٤٥٠ هـ)^٤ :- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي أحد الفلاسفة الذين بحثوا في الفلسفة الأخلاقية وكتب فيها . وعلم الأخلاق عنده هو تكييف النفس وردها الى ما رسمته الشريعة . والخلق هو هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال لا إرادياً وتتسم بما فيها من قبح او حسن .

^١ شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سينا ص ٣٤٤ دار الأنوار الطبعة الأولى ١٩٦٧

^٢ الرازي أبي بكر محمد بن زكريا تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية ص ٣٠ الطبعة الرابعة ١٩٦٥ دار الفكر العربي

^٣ نفس المصدر السابق ص ٣٤ و ٣٥

^٤ الغزالي محمد خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢ .

الأخلاقيات الطبية :

لقد بقيت مهنة الطب محتفظة بتقاليدها العريقة والتمسك أو على الأقل الاعتراف بما يسمى بالخلق المهني الى حد كبير فلا يزال الطبيب يلقي اهتماماً " خاصاً" في اغلب المؤسسات الصحية وضمن اكثر المجتمعات في العالم ان الاخلاقية او الخلق الطبي يكون الاساس في مهنة الطب ومركز هذه الاخلاقية يكمن في تعامل الطبيب مع مرضاه ومع اساتذته وزملائه والمجتمع الذي يعيش فيه الى جانب علمه ومعرفة وتطويرها ولاشك في ان السبب الذي يكمن خلف الاهتمام باداب المهنة هو طبيعة مسؤولية الطبيب والتي تتعلق بصحة المريض ومرضه وبحياته وموته والى جانب علاقته بصحة المجتمع كله وتعكس هذه الاهمية الكتابات الكثيرة التي كتبها الرواد الاقدمون منذ الاف السنين وعبر العصور الى يومنا هذا عن اداب مهنة الطبيب واخلاقه وصفاته.

وفي وصية أبقرات (٤٠٠ ق.م) والتي يبين فيها صفات واخلاق الطبيب يرد

« ينبغي ان يكون المتعلم للطب في جنسه حراً وفي طبعه جيداً معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة عفيفاً شجاعاً غير محب للفوضى ، مالكا لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركا في الغاية ولا يكون بليداً .

وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً لأسراره لأن كثير من المرضى يوقفونا على أمراضهم ولا يحبون أن يقف عليها غيرهم .

وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة ، لأن قوماً من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوية يقابلونا بذلك ، وينبغي أن نحتلمهم عليه : ونعلم أنه ليس منهم ، وأن السبب من المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن يكون حلق رأسه معتدلاً مستوياً ، لا يحلقه ولا يدعه كالجمل ، ولا يستقصي قص أضافر يديه ، ولا يتركها تعلق على أطراف أصابعه .

وينبغي أن تكون ثيابه نقيه لينة ، ولا يكون في مشيه مستعجلاً ، لأن ذلك دليل على الطيش ، ولا متباطئاً لأن ذلك دليلاً على فتور النفس .

وإذا دعى الى مريض فليقعد متبرعاً ويختبر منه حاله بسكون وتأن ، لا بقلق واضطراب ، فإن هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره . »

وكذلك من أقوال ابقرات الماثورة في أداب المهنة وتقاليدها وواجباتها وصفات الطبيب ^٢ :-

« يجب على من يريد الحصول على المعرفة التامة في العلوم الطبية ان يكون لديه الاستعداد التام لذلك ، وأن يلتحق بمعهد لطبيب ، وان يتعلم منذ حداثة وان يكون لديه الميل للعمل وكذلك وقت كافي يخصصه للدراسة . إن أهم واجب للطبيب هو العمل على إزالة آلام المريض أو على الأقل تخفيفها .

وعلى الطبيب واجب هام جدير بالاعتبار ، وهو أن يكون حسن المظهر والهندام ، وألا يكون عليلاً أو ضعيفاً لأن المرضى يعتقدون أن الشخص الذي لا يمكنه العناية بنفسه لا يمكنه العناية بغيره ؛ وعلى الطبيب أن يتعلم أن يصمت في الوقت المناسب ، كما يجب الاعتدال في مشيته محافظاً على سمعته وكرامته ، وعليه أن يحسن التصرف كالرجل الشريف ، وان يكون صبوراً رقيق الجانب ، وأن يكون هادئاً غير متهور في عمله ، ساكن الجنان غير حاد المزاج أو عبوس ، كما لا يجب أن يكون كثير المرح كذلك .

ويجب على الطبيب أن يتحلى بخصال الفيلسوف الحميدة ، ومنها إنكار الذات والحماس والتواضع والمظهر المحترم والجدية والحكم الهادئ وهدوء الفكر ، والحزم والحياة الطاهرة وعدم الثرثرة وتجنب الأشياء الضاره ، والإيمان والتعبد بالله . »

وقد ورد في كتابات جالينوس (٢٠٠ ب.م) ^٣ ما يؤكد اهمية الاخلاق في العمل الطبي وحث المريض على التأكد من اخلاق الطبيب والمامه بصنعتة قبل استشارته كما ورد في كتاب محنة الطبيب وكتاب كيف تعرف ان الطبيب فلان فاضلا.

١ التكريتي د. راجي عباس السلوك المهني للأطباء الصفحة ١٠٥ دار التربية بغداد العراق

٢ السامرائي كمال مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الأول الصفحة ١٠٤ دار الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق ١٩٨٥

٣ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء تحقيق د.نزار رضا الصفحة ١٢٧ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

الأخلاقيات الطبية في عصر الحضارة العربية الإسلامية :-

أن مبادئ الإسلام العليا كما امر بها سبحانه وتعالى وكما وردت في احاديث وسنة النبي (ص) وكما وردت عن ال البيت والصحابه عليهم السلام والتي ترفع القيم الاخلاقية الى مستوى عال من الانسانيه والرغبه في عمل الخير والاحسان في سبيل الله قد تركت أثارها الكبيرة على أخلاقيات مهنة الطب.

* ولقد افرد الأطباء العرب والمسلمون العديد من الكتب في يخص اخلاق الطبيب ومنها كتاب (اخلاق الطبيب) لابي بكر الرازي^١ وكتاب (ادب الطبيب) لابي العلاء صاعد بن الحسن^٢ (أواخر القرن الخامس للهجره) الا ان ابرزها , واوسعها , واكثرها تركيزا في صلب الموضوع هو كتاب (ادب الطبيب) لاسحاق بن علي الرهاوي^٣ وهو من أطباء الثلث الأخير من القرن الثالث الهجري ولقد ذكر في مقدمة كتابه (تكلفت جمع ما قدرت عليه من الاداب التي ينبغي للطبيب ان يؤدب نفسه بها ,والاخلاق المحموده التي ينبغي ان يقوم بها طبعه محتسبا للثواب في ذلك واثقا بمعونة الله وتأييده) , ومن فلسفة الرهاوي ان رعاية الطبيب لجسمه وحفظ صحته هي من الظواهر التي تدفع مرضاه الى العمل بوصاياه ويفرد الرهاوي بابا يورد فيه جدولا لاعمال الطبيب اليوميه والتي كان يمارسها , وتتضمن النظافة وابتداء اليوم بالصلاة إلى الله تعالى . وفي هذا الكتاب ابواب عدة منها : أمانة الطبيب واعتقاده , وما ينبغي للطبيب ان يحذره , وما يجب ان يوصي به خدم المريض , وفي يوصي من ادب لعود المريض , وفي ان الطبيب يجب له التشريف بحسب مرتبته من صناعة الطب من الناس كافة , ولكن تشريفه من الملوك والافاضل يجب ان يكون اكثر , وفي شرف صناعة الطب , وفي محنة الطبيب , وفيما ينبغي للطبيب ان يذخره ويعدده من وقت صحته لوقت مرضه فهو ينصحه ان يلتمس رزقه من الاغنياء دون الفقراء مع عدم التفريق في العناية وان لا يشح بصناعته ان شح ذوو اليسار بمالهم وان لا يبذر ماله ولا يبخل وان يذخر ما يكفيه عند الكبر ,ومن زمان شبابه الى زمان شيخوخته , وهو يرى ان الطب ان اصلح صحة الناس فهو يفيدهم في الاقرار بتوحيد الله وعبادته وهو ما يهدف اليه الطبيب في عمله .

و في حياة الطبيب الخاصه وتصرفاته فقد كانت الوصايا تذكر وكما ورد عن الرازي في كتابه المنصوري^٤ وكذلك ما تكلم به ابن رضوان^٥ وكلها تدعوا الى الوفاق والتزام الاخلاق والدراسة والتأمل وعدم اضاءة الوقت في اللهو .

مفردات من الأخلاقيات الطبية في كتب الأطباء العرب والمسلمون :

* وكذلك نورد بعض مما ورد عن بعض من الاطباء العرب والمسلمين فيما يخص اخلاق المهنة وصفات الطبيب :

فقد اشترط الاطباء المسلمون شروطا جسمانية وعقلية واخلاقية لطالب الطب وممارسه ؛ فقد جاء في كتاب ابن أبي اصيبعة المؤرخ الطبي الشهير^٦ إن الطبيب ابن رضوان المصري(ت ٥٤٦٠هـ) اشترط على الطبيب :-

١- ان يكون تام الخلق ,وجميع الأعضاء ,حسن الذكاء ,جيد الرؤية , عاقلا ذكورا , وخير الطباع.

^١ المصدر السابق ص ٤١٤.

^٢ المصدر السابق ص ٣٤٠.

^٣ الرهاوي اسحق بن علي كتاب ادب الطبيب تحقيق د.كمال السامرائي ود.سلمان داود ص ٢٢ وص ٣٧ و ١٠٧

وص ١١١ وص ١١٣ وص ١٤٥ وص ١٩٧ سلسلة خزائن التراث بغداد ١٩٩٢

^٤ الرازي أبي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د.حازم البكري ص ٢٥٣ المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت

^٥ السامرائي د.كمال الكتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب لعلي بن رضوان المصري ص ٤١ مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٦

^٦ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٥٦٥ تحقيق د نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

- ٢- ان يكون حسن الملبس , طيب الرائحة , نظيف البدن . ونظيف الثياب.
- ٣- ان يكون كتوما لاسرار المرضى لايبوح بشي من امراضهم.
- ٤- ان تكون رغبته في شفاء المرضى اكثر من رغبته فيما يتلمسه من الاجر , ورغبته في علاج الفقراء اكثر من رغبته في علاج الاغنياء.
- ٥- ان يكون حريصا على التعليم , ونفع الناس.
- ٦- ان يكون سليم القلب , عفيف النظر, صادق اللهجة , لا يخطر بباله شئ من امور النساء, والاحوال التي يشاهدها في منازل الاغنياء , فضلا عن ان يتعرض الى شئ منها.
- ٧- وان يكون مأمونا ثقة على الأرواح والأموال , ولا يصف دواء يسقط الاجنه.
- ٨- يعالج عدوه نية صادقه كما يعالج حبيبه .

* ومن شروط تعلم المهنة و ممارستها ان يقسم الطالب و الممارس بقسم ابقراط (والذي أعاد تنظيمه الأطباء العرب والمسلمون)^١ .

« إقسم بالله برب الحياة والموت واهب الصحة وخالق الشفاء وكل علاج ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ، وأشهدهم جميعاً على أنني أفى بهذه اليمين وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة أبائي وأواسيه في معاشي ، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لأخوتي وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا لتعلمها لا ابغي أجرة ولا شرط وأشرك أولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي والوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة وأما غير هؤلاء لا أفعل بهم ذلك .

وأقصد بجميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى وأما الأشياء التي يضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأبي .

ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً ، ولا أشير بمثل هذه المشورة ، وكذلك لا أرى ان أدني من النسوة فزرجة تسقط الجنين ، وأحفظ نفسي في تدبيري و صناعتي على الزكاة والطهارة . ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة لكن اترك هذا إلى من كانت حرفته في هذا العمل .

وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخلها لمنفعة المرضى وأنا بحالة خارجة عن كل ظلم وجور وفساد إرادتي مقصود إليه في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال ، الأحرار منهم والعبيد ، وأما الأشياء التي أعانيها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها أو في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس في الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً ، فأمسك نفسك عنها وأرى أن أمثالها لا ينطق .

فمن أكمل هذا اليمين ولم يفسد منها شيئاً ، فإن له أن له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها ، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ومن تجاوز ذلك كان يضره .

* وكذلك فقد اشترطت المدرسة المستنصرية لطلاب الطب تمام الخلقه والذكاء وحسن السيرة وانفردت بان يكون مسلماً^٢ .

* واخلاقيات التعليم تلزم الطالب الادب اتجاه استاذه في مجلسه في الدرس وفي التصرف معه خارج ذلك وحتى بعد أن يصبح طبيباً ممارساً للمهنة .

* وهذه الاخلاقيات تشمل معلم الطب أيضاً والذي أكثر الأحيان هو من افضل الاطباء علماً, ولكون تعليم الطب مما يثاب المرؤ عليه فقد كان اكثرهم يعلمون الطب احتساباً بل ان البعض منهم اوقف بيته ليكون مدرسة للطب بعد وفاته كالطبيب الشامي عبد الرحيم الدخوار (٥٤٦٤هـ)^٣ .

^١ التكريتي د. راجي عباس السلوك المهني للأطباء الصفحة ١٠٥ دار التربية بغداد العراق

^٢ باقر د. رضي جواد الطب وتعليمه في عصر الحضارة العربية الإسلامية مجلة الحكمة العدد ٣٨ دار الحكمة

بغداد ٢٠٠٤

^٣ عيسى د. احمد تاريخ البيمارسانات في الإسلام الصفحة ٣٩ دار الرائد العربي بيروت لبنان

* وفيما يكون الكلام عن دراسة الطب لا بد من وقفة مع مسألة التشريح ؛ ففي عصر الحضارة العربية الاسلامية وفي وقت كانت التيارات الفكرية الاسلامية قد وصلت مرحلة الصراعات لم يشأ الاطباء المسلمون الى ممارسة التشريح وهم المتلهفون للعلم وكانت هذه التفات ذكبه منهم ربما لابعاد هذه المسألة لفترة من الزمن حتى لا تكون مادة للتحريم وتكون عقبة لمن ياتي بعدهم. فقد اكتفى اقدمهم بتشريح القرده كما فعل ابن ماسويه (ت ٥٢٤٣هـ) ^١ ، والبعض الآخر اكتفى بملاحظته ما يظهر من خلال الجروح ، وقد درس عبد اللطيف البغدادي (٥٦٢٥هـ) ^٢ العظام مما كشفت عنه مقبرة قديمه في إحدى التلؤل بالقرب من القاهرة.

ألا انه في اشارة لاتخلو من حكمه بين ابن رشد الحفيد (٥٥٩٥هـ) ^٣ حين قال (من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايمانا بالله) راي يبرر فيه الجانب الاخلاقي العميق لممارسة التشريح ، وقد يكون قد مارسه خفية ؟ .

• وفي ما يخص العلاقة بين الطبيب والمريض فيما سيرد من اقوال الكثير من القيم الاخلاقيه العاليه: يعقوب بن اسحق الكندي ^٤ :

« ليتق الله تعالى المتطبيب ، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عوض ، وكما يجب أن يقال أنه كان سبب عافية المريض وبرئه ، كذلك أن يحذر أن يقال أنه كان سبب تلفه وموته » . وهي دعوة وتأكيد على التعامل بحيطه وعلميه وعدم التهور والاهمال في ممارسة الطب .

أبو بكر الرازي الطبيب (ت ٥٣١٣هـ) ^٥ : ((يصعب في الطب كثيراً الوصول الى الحقيقة ، وفن الطب كما نجده في الكتب أقل شأناً من الخبرة العملية التي يحصل عليها طبيب مفكر وماهر » . ومن ذا الذي ينكر ان برامج الدراسه الطبيه تؤكد على اهمية اكتساب الخبرة العملية من خلال الممارسه العلميه والعلميه .

« يجب على الطبيب أن يواسي ويشجع المريض حتى ولو كان مشرفاً على الموت لأن قوة الإنسان مستمدة من روحه المعنوية » . وهذه المقولة للرازي هي بالتأكيد مستمدة من الحديث النبوي الشريف (إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل ، فان ذلك لا يرد شيئاً ولكنه يطيب النفس) ^٦ وهي من الاهمية فيما يرد الان من مناقشات في المحاكم وبين الاطباء وغيرهم حول ما يسمى بموت الرحمة .

« إذا ما عالجت مريضاً فأبدأ بتقوية حيويته وحالته العقلية لأنك إن فعلت ذلك سهل عليك الباقي » .

وهنا تظهر اهمية حاله النفسيه في علاج الامراض حتى العضوية منها .

« إذا كان الطبيب عالماً والمريض مطيعاً ، فما أقل ما لبثت العلة »

^١ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٢٥٠ تحقيق د نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

^٢ السامرائي كمال مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الثاني الصفحة ١٠٩ دار الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق ١٩٨٥

^٣ السامرائي كمال مختصر تاريخ الطب العربي الجزء الثاني الصفحة ١٨٨ دار الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق ١٩٨٥

^٤ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٢٨٨ تحقيق د نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

^٥ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٤٢٠ - ٤٢١ نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

^٦ ألعلمي جعفر مرتضى الآداب الطبية في الإسلام ١٩٩٢ الصفحة ١٩٢ منشورات جامعة المدرسين - قم-

وبالتأكيد فان الثقة هي أساس العلاقة بين الطبيب والمريض ومنها تتأكد الفائدة .

• وللعلاقة بين الأطباء قيمها الأخلاقية أيضا
اسحق بن سليمان (ت ٥٩٠٥)

«إذا ما حل بزميل لك ضرر فلا تذكره بسوء ، فإن لكل امرئ ساعته ، ولتكن تفانك وحسن خلقك راشدك الوحيد للرفعة وللمجد . ولا تحاول أن ترتفع بإذلال الغير » .

* وفي مسألة الاجور وهو امر كثر الكلام فيه هذه الايام فلنرى مثلا الطبيب القيرواني ابن الجزار^١ (ت ٥٣٩٦) فقد كان لا يتقرب الى الامراء والاغنياء ويعالج الفقراء ويعطيهم الدواء مجانا بل انه كان يترفع عن ان ياخذ اجوره بنفسه ويترك الامر لعلامة .
ومعالجة الفقراء مجانا كانت من افضل ما جاءت به الاخلاقيات الاسلامية وهو ما مارسه اكثر اطباء ، وقد تجلى هذا الامر في المستشفيات والتي كانت العناية والنظافة فيها اقرب للخيال ويفوق افضل ما موجود حاليا ومع هذا كانت مجانا للاغنياء والفقراء .

* وفي التزام اطباء بكتمان السر وهي صفة لاتفريط فيها وكما حدث لامين الدولة (٥٥٦١) عندما طلب منه ذلك امير السلاجقة محمد خوارزمشاه في حصاره لبغداد وقد رفض ابن التلميذ البوح باي سر وهو الامر الذي رفع قدره لدى هذا الامير .

* ولم يكن حنين بن اسحق العبادي (ت ٥٢٦٠)^٢ ألا مثالا عاليا يحتذى به لرفضه ان يحضر السم للخليفة المتوكل لقتل اعداءه وقد سجن وهدد بالقتل لرفضه .

* اما عن الامانة العلمية فليس كابن البيطار (ت ٥٦٤٦)^٣ عالما حريصا على ان يرد كل راي الى صاحبه ويدون ملاحظاته وتجاربه بدقة وامانة فائقه .

وهناك الكثير من هذه الحكم والمثل الاخلاقية مما تركها الاطباء والفلاسفة المسلمون مما لا تسعه كتبنا عده .

وقد يتساءل المرء هل كان الامر يترك بدون مراقبة ومما لاشك فيه فان وجود من لهم مستوى ضعيف في اخلاقيتهم وسلوكهم (وهو الموجود في كل عصر) ، يتطلب من يتابع تطبيق مثل هذه المثل العاليه من الاخلاق الطبية .

والجواب نعم وقد كانت جهتان في المراقبة
فقد كان هناك المحتسب ؛ والحسبة في بدايتها امر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله عملا بقوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)^٤ وقد مارس الحسبة اول الامر الخلفاء الراشدون^٥ ثم أوكلت بعدها للثقات من الناس .

^١ الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني ص ١١ مطبعة التعليم العالي في الموصل

^٢ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٣٤٨ نزار رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

^٣ ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء الصفحة ٢٦١ رضا منشورات دار مكتبة الحياة بيروت

^٤ التكريتي راجي بن البيطار وأثره ف الطب والصيدلة الأمانة العلمية مركز التراث العلمي العربي جامعة بغداد

^٥ القرآن الكري سورة آل عمران ١١٠:٣

^٦ محفوظ د.حسين عي دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب مجموعة من الأساتذة مركز التراث العربي العلمي جامعة بغداد

ووظيفة المحتسب مراقبة الاطباء كغيرهم من اصحاب المهن والنظر في الشكاوي التي تقدم ضدهم ومعاقبة من تثبت ادانته عاي مخالفة العرف والشريعة والقانون .
واما رئاسة الأطباء فهي مرتبة علمية لمراقبة الاطباء والزامهم بقواعد المهنة وادابها , وقد يمتحن رئيس الاطباء زملائه عند الاقتضاء .
ويتعهد رئيس الاطباء امام المحتسب ان لايتساهل في شؤون الاطباء والزامهم بقواعد المهنة وادابها وان ياخذ عليهم عهد ابقرط .

الخاتمة :

في هذا العصر الذي يتسابق فيه العلماء والمؤسسات العلمية لاكتشاف الجديد حتى صار الجديد غاية ومبررا , وطمغت فيه الماديات , نجد الحاجة ماسة الى الالتزام بالاخلاقيات الطبية حتى لا تضيع الانسانية هويتها امام النزعة المادية . وليس مثل الاخلاقيات الطبية الاسلامية مرجعا نعود اليه.
أنا الآن أمام خيارات متعددة , فكل امة خياراتها وهي بالتاكيد حاصل تحصيل لمعتقداتها وثقافتها وان كنا نتخرج من أن نتكلم بماضيها ولأسباب معروفة فهل نستطيع أن ننسلخ منه في أعماق فكرنا وممارساتنا وان استطعنا ذلك فما الضير من أن ندرس هذه المناهج الفلسفية ونحن نمر بهذه الأزمات الأخلاقية المدمرة ولو من باب أكمل البحث العلمي باستيفاء كل المصادر , وما أغناها وما أجملها في ما تركه أجدادنا العظام .
وأخير أن أردت احصر النقاط التي أريد أن أوضحها كخلاصة للبحث أرجو من كل واحد منا أن يراجع ولو لبرهة نفسه وسيرى الكثير مما يمكن تلخيصه وعلق في الذهن

والله الموفق

الدكتور رضي جواد باقر

أخصائي انف وأذن وحنجرة
باحث في تاريخ الطب العربي الإسلامي
العراق /واسط /الكوت
ايار ٢٠٠٦

المصادر :

١. القرآن الكريم
٢. الرازي ابي بكر محمد بن زكريا المنصوري في الطب تحقيق د.حازم البكري المنظمة العربية للتربية والثقافة ١٩٨٧ الكويت
٣. البهي محمد الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي الطبعة الثالثة ١٩٦٠.
٤. السامرائي د. كمال مختصر تاريخ الطب العربي دائرة الشؤون الثقافية والنشر بغداد العراق ١٩٨٥
٥. ابن أبي اصيبعة عيون الأنباء في طبقات الأطباء منشورات دار مكتبة الحياة بيروت
٦. الحاج قاسم د. محمود السلوك الطبي الإسلامي منشورات الجمعية الطبية الإسلامية موصل العراق ٢٠٠٤.
٧. رجب منصور علي تأملات في فلسفة الأخلاق المكتبة الانجلومصرية ١٩٦١.
٨. صحيح مسلم دار أحياء التراث العربي ١٩٥٤ .
٩. التكريتي د.راجي عباس السلوك المهني للأطباء دار التربية بغداد العراق .
١٠. التكريتي د.راجي عباس ابن البيطار وأثره في الطب والصيدلة الأمانة العلمية مركز أحياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد ١٩٨٨.
١١. محفوظ د. حسين علي الفارابي في المراجع العربية دار الحرية للطباعة ١٩٧٥.
١٢. محفوظ د. حسين علي دراسات في الحسبة والمحاسب عند العرب جامعة بغداد وزارة التعليم العالي .
١٣. شيخ الأرض تيسير المدخل إلى فلسفة ابن سينا دار الأنواء بيروت ١٩٦٧.
١٤. الغزالي محمد خلق المسلم دار الكتب الحديثة ١٩٦٢.
١٥. الرهاوي اسحق بن علي كتاب أدب الطبيب سلسلة خزانة التراث بغداد ١٩٩٢.
١٦. المصري علي بن رضوان النافع في كيفية تعليم صناعة الطب مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٧.
١٧. عيسى د. احمد تاريخ الممارسات في الإسلام دار الرائد العربي بيروت لبنان .
١٨. العامللي جعفر مرتضى الآداب الطبية في الإسلام منشورات جامعة المدرسين -قم. ايران ١٩٩٢.
١٩. الشيخ حسين عادل محمد علي ابن الجزار القيرواني مركز أحياء التراث العلمي العربي بغداد ١٩٨٨.
٢٠. ذكري أبو بكر تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية دار الفكر العربي ١٩٦٥.
٢١. موسى محمد يوسف تاريخ الأخلاق دار الكتاب العربي ١٩٦٥ .
٢١. باقر د.رضي جواد الطب تعليمه ومدارسه في عصر الحضارة العربية الإسلامية مجلة الحكمة دار الحكمة العدد ٣٨ في ١٩٨٩ .